حقوق آل البيت

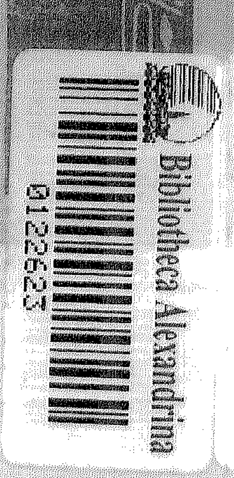
تاليف شيخ الاسلام

أحمد بن عبد الحليم بن تيمية

مراجعة وتحقيق

سعد كريم الدرعمى





حقوق آل البيت

للإمام العلامة

تقي الدين ابن تيمية

ولد سنة ٦٦١ وتوفى سنة ٧٢٨ هـ

رحمه الله تعالى

مراجعة وتحقيق

سعد كريم الفقي

غفر الله له ولوالديه وللمسلمين



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين نحمده سبحانه وتعالى ونستهديه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا إنه من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

نشهد أنه أدى الأمانه وبلغ الرسالة ونصح الأمة وكشف الله به الغمة .

فتح الله به قلوبا غلفا وآذانا صماً وأعينا عميا ثم أما بعد .

قال تعالى ﴿ قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ ﴾ « الشورى٢٣» فحب آل بيت النبى ﷺ واجب على كل مسلم ومسلمة وذلك من أجل رأس هذا البيت وهو رسول الله ﷺ .

وقد قيل

أحب الصالحين ولستُ منهم لعلى أن أنال بهم شفاعة

وقيل أيضا :

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم إن التشبه بالكرام فلاح

ولقد كانت عهود المسلمين الأوائل تنص على أن يدفعون عنه ما يدفعونه عن أنفسهم وأهليهم .. وقد بذلوا دماءهم تعبيرا صادقا عن حب الله ورسوله وطاعة الله ورسوله ﷺ قال تعالى ﴿ مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ «النساء٨٠» .

ومضت الشهور والسنون وكان آل البيت قادة فى العلم والعمل وأعجب كثيرون بهم إلى أن ظهرت بعض الفرق تمجدهم وتهتف لهم وأشاعوا حولهم الخرافات والبدع مما دفع زين العابدين على بن الحسين أن يقول لبعض غلاة الشيعة (أحببتمونا حتى صار حبكم علينا عار) .

وذلك بسبب انحراف هؤلاء الشيعة فى التعبير عن حبهم لآل البيت فحب آل البيت يتولد من حب الله وحب رسوله ﷺ .

والذى يدعى حب الله وحب رسوله دون العمل بالشريعة كاذب فى دعواه إن لم يعمل وفق أمر الله سبحانه وتعالى وأمر رسوله ﷺ .

والذى يعبر عن حبه لآل البيت عن طريق الصراخ والشطح والعويل والشموع والنذور والموالد ما هو إلا كاذب خادع مخدوع ضال مضل وكما قال المحاسبى (يتقرب إلى الله بما يسخط الله) .

لقد جاء هؤلاء الغلاه المخرفون الضالون المضلون بأقوالاً وأفاعيل تستحى منها الآذان وتمقتها القلوب الواعية فإنها لم تثبت فى أقوال الرسول ﷺ ولا فى أقوال السلف الصالح من بعده .

فقد ورد عن هؤلاء المنحرفين قولهم (احذر من الاعتراض علي شيخك ولو وجدته على كبيرة من الكبائر فإن له حالا لا تعلمه) .

إنا لله وإنا إليه راجعون

قالوا كما قال أهل الكتاب فى كتبهم « السؤال فى العقيدة كفر واعتقد وأنت مغلق عينيك » . وقالوا « من اعترض انطرد » . وقالوا « المنسوب محسوب ولو كان كله عيوب » . وهذه الأقاويل كلها ماهى إلا أباطيل ابتدعها هؤلاء لصنع مكانة لهم ولو بالباطل والزيف .

فقد عالج هذا الكتاب الإفراط والتفريط فى حب آل بيت رسول الله ﷺ مستنداً على الكتاب والسنة موضحاً ضلال من ضل فى هذا السبيل .

والله الموفق لما فيه الخير

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

كتبه

سعد كريم الفقى

غفر الله له ولوالديه وللمسلمين

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ الإمام العالم فريد عصره ، مفتي الفرق ، شيخ الإسلام ، تقي الدين أبو العباس أحمد ابن الشيخ الإمام العالم شهاب الدين عبد الحليم ابن الشيخ الإمام العلامة مجد الدين عبد السلام بن تيمية رضي الله عنه وأرضاه ، وأعلى درجته :

هذا الكتاب إلى من يصل إليه من الإخوان المؤمنين يتولون الله ورسوله والذين آمنوا يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ، ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون . الذين يحبون الله ورسوله ، ومن أحبه الله ورسوله ، ويعرفون من حق المتصلين برسول الله ما شرعه الله ورسوله ، فإن من محبة الله وطاعته محبة رسوله وطاعته ، ومن محبة رسوله وطاعته محبة من أحبه الرسول وطاعة من أمر الرسول بطاعته .

كما قال تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً (٥٩) ﴾«النساء»[١] .

وقال النبي ﷺ : « من أطاعني فقد أطاع الله ، ومن أطاع أميري فقد أطاعني ، ومن عصاني فقد عصى الله ، ومن عصى أميرى فقد عصاني »[٢] .

---

(١) سورة النساء آية ٥٩ .

(٢) حديث صحيح الأسناد .

وهنا نقطه يجب التنبيه عليها أن طاعة الإمام أو الأمير مشترطة فى طاعته لله تبارك وتعالى ورسوله . وطاعته فيما لا معصية فيه فإنه لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق .

وقد قال أبو بكر الصديق عليه رضوان الله (أطيعونى ما أطعت الله ورسوله فإن عصيت الله ورسوله فلا طاعة لى عليكم) .

وقال ﷺ فيما رواه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه :« إنما الطاعة في المعروف »[1] .

وقال : «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق »[2] .

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، فإنا نحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو، وهو للحمد أهل ، وهو على كل شيء قدير ، ونصلي على إمام المتقين ، وخاتم النبيين محمد عبده ورسوله ، ﷺ تسليماً كثيرا . أما بعد :

(١) حديث صحيح متفق عليه .

(٢) صحيح الأسناد رواه أحمد وغيره .

وحدة المسلمين بالكتاب والسنة

فإن الله سبحانه وتعالى بعث محمداً بالكتاب والحكمة ليخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد .

وقال الله تعالى :

﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ (١٦٤) ﴾[1]

وقال تعالى :

﴿ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِ ﴾[2] .

وقال لأزواج نبيه :

﴿واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة ﴾[3]

والذي كان يتلوه هو رسول الله ﷺ في بيوت أزواجه : كتاب الله والحكمة.

فكتاب الله هو القرآن ، والحكمة هي ما كان يذكره من كلامه ، وهي سنته . فعلى المسلمين أن يتعلموا هذا وهذا .

وفي الحديث المشهور الذي رواه الترمذي وغيره عن أمير المؤمنين علي بن

---

(١) سورة : آل عمران آية ١٦٤ .

(٢) سورة البقرة آية ٢٣١

(٣) سورة الأحزاب آية ٣٤ .

أبي طالب رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : « ستكون فتنة . قلت : فما المخرج منها يارسول الله ؟ قال : كتاب الله ، فيه نبأ ما قبلكم ، وخبر ما بعدكم ، وحكم ما بينكم ، وهو الفصل ليس بالهزل ، ومن تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله ، وهو حبل الله المتين ، وهو الذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم ، وهو الذي لاتزيغ به الأهواء ، ولا تلتبس به الألسن ، ولا يخلق على كثرة الرد ، ولا تنقضي عجائبه، من قال به صدق ، ومن عمل به أجر ، ومن حكم به عدل ، ومن دعى إليه هدى إلى صراط مستقيم »[1]

وقال الله تعالى في كتابه :

﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾[2]

وقال في كتابه :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ﴾[3]

فذم الذين تفرقوا فصاروا أحزابا وشيعاً ، وحمد الذين اتفقوا وساروا جميعاً معتصمين بحبل الله الذي هو كتابه شيعة واحدة للأنبياء .

كما قال تعالى :

﴿ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ (٨٣) ﴾[4] وإبراهيم هو إمام الأنبياء كما قال تعالى : ﴿ وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ (١٢٤) ﴾[5]

---

(١) صحيح الاسناد رواه أحمد وغيره .

(٢) سورة آل عمران آية ١٠٣ .

(٣) سورة الأنعام آية ١٥٩ .

(٤) سورة الصافات آية ٨٣ .

(٥) سورة البقرة آية ١٢٤ .

قال تعالى :

﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٢٠) ﴾[١] .

إلى أن قال :

﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ(١٢٣) ﴾[٢] .

وكان النبي ﷺ يعلم أمته أن يقولوا إذا أصبحوا : « **أصبحنا على فطرة الإسلام ، وكلمة الإخلاص ، ودين نبينا محمد ﷺ وملة أبينا إبراهيم حنيفا مسلما وما كان من المشركين**»[٣]

وقال النبي ﷺ : « ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه ، فلا ألفين رجلاً شبعان على أريكته يقول : بيننا وبينكم هذا القرآن ، فما وجدنا فيه من حلال حللناه ، وما وجدنا فيه من حرام حرمناه ، ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه»[٤].

فهذا الحديث موافق لكتاب الله ، فإن الله ذكر في كتابه أنه ﷺ يتلو الكتاب والحكمة ، وهي التي أوتيها مع الكتاب .

وقد أمر في كتابه بالاعتصام بحبله جميعاً ، ونهى عن التفريق والاختلاف، وأمر أن نكون شيعة واحدة ، لا شيعاً متفرقين ، قال الله تعالى في كتابه :

﴿ وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا

---

(١) سورة النحل آية ١٢٠ .

(٢) سورة النحل آية ١٢٣ .

(٣) صحيح الاسناد رواه أحمد وغيره .

(٤) صحيح الاسناد رواه ابن ماجه وأحمد .

بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٩) إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (١٠) ﴾[١]

فجعل المؤمنين إخوة ، وأمر بالإصلاح بينهم بالعدل مع وجود الاقتتال والبغي .

وقال النبي ﷺ : « مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعي له سائر الجسد بالحمى والسهر»[٢] .

وقال : « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا »[٣] وشبك بين أصابعه.

فهذه أصول الإسلام التي هي الكتاب والحكمة ، والاعتصام بحبل الله جميعاً واجب على أهل الإيمان للاستمساك بها .

---

(١) سورة الحجرات آية ٩ ، ١٠ .

(٢) حديث صحيح متفق عليه .

(٣) صحيح الإسناد رواه البخارى .

أهل البيت وخصائصهم

من هم أهل البيت ؟

ولا ريب أن الله قد أوجب فيهم من حرمة خلفائه وأهل بيته والسابقين الأولين ، والتابعين لهم بإحسان ما أوجب .

قال الله تعالى : ﴿ يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحا جميلا . وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكن أجراً عظيما ﴾[1]

وقد روى الإمام أحمد والترمذي وغيرهما عن أم سلمة : أن هذه الآية لما نزلت أدار النبي ﷺ كساءه على عليّ وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم فقال : « اللهم هؤلاء أهل بيتى فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا»[2]

وسنته تفسر كتاب الله وتبينه ، وتدل عليه ، وتعبر عنه . فلما قال : « هؤلاء أهل بيتي » مع أن سياق القرآن يدل على أن الخطاب مع أزواجه ، علمنا أن أزواجه وإن كن من أهل بيته كما دل عليه القرآن ، فهؤلاء أحق بأن يكونوا أهل بيته ، لأن صلة النسب[3] أقوى من صلة الصهر[4]

والعرب تطلق هذا البيان للاختصاص بالكمال لا للاختصاص بأصل الحكم ، كقول النبي ﷺ : «ليس المسكين بالطواف[5] . الذي ترده اللقمة

---

(١) سورة الأحزاب آية ٢٨ .

(٢) صحيح الاسناد رواه أحمد وغيره .

وقوله ﷺ « اذهب عنهم الرجس » أى ابعد عنهم السوء وكل عمل قبيح .

(٣) النسب : كل ما يرتبط بالانسان من ناحيه الأب وما علا والابن وما دنا .

(٤) المصاهرة : كل ما يرتبط بالانسان من ناحية الزواج والنساء .

(٥) الطواف : كثير الطواف والسؤال للآخرين .

واللقمتان ، والتمرة والتمرتان ، وإنما المسكين الذي لا يجد غنى يغنيه ، ولا يتفطن له فيتصدق عليه ، ولا يسأل الناس إلحافا »[1]

بين بذلك : أن هذا مختص بكمال المسكنة ، بخلاف الطواف فإنه لا تكمل فيه المسكنة ، لوجود من يعطيه أحياناً مع أنه مسكين أيضا .

ويقال هذا هو العالم ، وهذا هو العدو، وهذا هو المبسلم لمن كمل فيه ذلك وإن شاركه غيره في ذلك وكان دونه .

ونظير هذا في الحديث ما رواه مسلم في صحيحه عن النبي ﷺ أنه سئل عن المسجد الذي أسس على التقوى فقال : « مسجدي هذا » يعني : مسجد المدينة . مع أن سياق القرآن في قوله عن مسجد الضرار :

﴿ لا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ (١٠٨) ﴾[2] يقتضي أنه مسجد قباء .

فإنه قد تواتر أنه قال لأهل قباء :« ما هذا الطهور الذي أثنى الله عليكم به؟ فقالوا : لأننا نستنجي بالماء[3] .

لكن مسجده أحق بأن يكون مؤسساً على التقوى من مسجد قباء ، وإن كان كل منهما مؤسساً على التقوى ، وهو أحق أن يقوم فيه من مسجد الضرار .

فقد ثبت عنه ﷺ : أنه كان يأتي قباء كل سبت راكباً وماشياً ، فكان يقوم

---

(١) حديث صحيح رواه البخاري وقوله « لا يسأل الناس إلحافا » أي لا يلح في المسألة وهو مستغن عنها.

والإلحاف : هو الإلحاح مع القدرة على الاستغناء .

(٢) سورة التوبة آية ١٠٨ .

(٣) صحيح الاسناد رواه أحمد وغيره .

في مسجده القيام الجامع يوم الجمعة ، ثم يقوم بقباء يوم السبت[1] . وفي كل منهما قد قام في المسجد المؤسس على التقوى .

ولما بين سبحانه أنه يريد أن يذهب الرجس عن أهل بيته ويطهرهم تطهيرا ، ودعا النبي ﷺ أقرب أهل بيته وأعظمهم اختصاصاً به ، وهم : علي ، وفاطمة رضي الله عنهما ، وسيدي شباب أهل الجنة ، جمع الله لهم بين أن قضى لهم بالتطهير ، وبين أن قضى لهم بكمال دعاء النبي ﷺ فكان من ذلك ما دلنا على أن إذهاب الرجس عنهم وتطهيرهم نعمة من الله ، ليسبغها عليهم ، ورحمة من الله وفضل لم يبلغوهما بمجرد حولهم وقوتهم ، إذا لو كان كذلك لاستغنوا بهما عن دعاء النبي ﷺ ، كان يظن أنه قد استغنى في هدايته وطاعته عن إعانة الله تعالى له ، وهدايته إياه .

وقد ثبت أيضاً بالنقل الصحيح : أن هذه الآيات لما نزلت قرأها النبي ﷺ على أزواجه ، وخيرهن كما أمره الله ، فاخترن الله ورسوله والدار الآخرة ، ولذلك أقرهن ، ولم يطلقهن ، حتى مات عنهن . ولو أردن الحياة الدنيا وزينتها لكان يمتعهن ويسرحهن كما أمره الله تعالى ، فإنه ﷺ أخشى الأمة لربه وأعلمهم بحدوده .

ولأجل ما دلت عليه هذه الآيات من مضاعفة للأجور والوزر بلغنا عن الإمام علي بن الحسين زين العابدين وقرة عين الإسلام أنه قال : « إني لأرجو أن يعطى الله للمحسن منا أجرين ، وأخاف أن يجعل على المسيء منا وزرين» .

وثبت في صحيح مسلم عن زيد بن أرقم أنه قال : خطبنا رسول الله ﷺ بغدير يدعى «خم » بين مكة والمدينة فقال : « وأهل بيتي ، أذكركم الله في أهل بيتى ، أذكركم الله في أهل بيتى » . قيل لزيد بن أرقم : ومن أهل بيته؟ قال : الذين حرموا الصدقة : آل علي ، وآل جعفر ، وآل عقيل ، وآل عباس .

---

(١) صحيح الاسناد رواه البخارى ومسلم .

قيل لزيد : أكل هؤلاء أهل بيته ؟قال : نعم[1]

وقد ثبت عن النبي ﷺ من وجوه صحاح أن الله لما أنزل عليه : **﴿ إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما﴾**

سأل الصحابة : كيف يصلون عليه ، فقال : « قولوا : اللهم صلي على محمد ، وعلى آل محمد ، كما صليت على إبراهيم ، إنك حميد مجيد » .

وفي حديث صحيح : « اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته »[2]

مالهم وما عليهم :

وثبت عنه أن ابنه الحسن لما تناول تمرة من تمر الصدقة قال له «كخ ،كخ أما علمت أنا آل بيت لا تحل لنا الصدقة » ؟[3]

وقال : « إن الصدقة لا تحل لمحمد ولا لآل محمد »[4].

وهذا ــ والله أعلم ــ من التطهير الذي شرعه الله لهم ، فإن الصدقة أوساخ الناس ، فطهرهم الله من الأوساخ ، وعوضهم بما يقيتهم من خمس الغنائم، ومن الفيء الذي جعل منه رزق محمد حيث قال ﷺ فيما رواه أحمد وغيره : « بعثت بالسيف بين يدى الساعة ، حتى يعبد الله وحده لا شريك له ، وجعل رزقي تحت ظل رمحي ،وجعل الذلة والصغار على من خالف أمري ، ومن تشبه بقوم فهو منهم[5] .

---

(١) صحيح الاسناد رواه مسلم .

(٢) صحيح الاسناد رواه البخارى وغيره .

(٣) صحيح الاسناد رواه البخارى وغيره .

وقوله كخ كخ كلمة زجر تقال للصبى عندما يتناول شيء لا يراد أن يتناوله .

ويمكن أيضا أن تكون اسم فعل أمر بمعنى اترك أو دع .

(٤) صحيح الاسناد رواه أحمد وغيره .

(٥) صحيح الاسناد رواه البخارى .

ولهذا ينبغي أن يكون اهتمامهم بكفاية أهل البيت الذين حرمت عليهم الصدقة أكثر من إهتمامهم بكفاية الآخرين من الصدقة ، لاسيما إذا تعذر أخذهم من الخمس والفيء ، إما لقلة ذلك ، وإما لظلم من يستولي على حقوقهم ، فيمنعهم إياها من ولاة الظلم ، فيعطون من الصدقة المفروضة ما يكفيهم إذا تحصل كفايتهم من الخمس والفيء .

صفات أهل الفيء :[1]

وعلى الآخذين من الفيء من ذوي القربى وغيرهم أن يتصفوا بما وصف الله به أهل الفيء في كتابه حيث قال :

﴿ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ﴾[2] .

فجعل أهل الفيء ثلاثة أصناف : المهاجرين ، والأنصار ، والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا أنك رؤوف رحيم .

وذلك أن الفيء إنما حصل بجهاد المهاجرين والانصار وإيمانهم وهجرتهم ونصرتهم ، فالمتأخرون إنما يتناولونه مخلفا عن أولئك ، مشبها بتناول الوارث ميراث أبيه ، فإن لم يكن مواليا له لم يستحق الميراث « فلا يرث المسلم الكافر»[3] .

فمن لم يستغفر لأولئك بل كان مبغضا لهم خرج عن الوصف الذي وصف الله به هل الفيء ، حتى يكون قلبه مسلما لهم ، ولسانه داعياً لهم ،

---

(١) الفيء : أي الغنائم والأموال تنال بعد غزو الجيش بلداً ما بلا قتال ولا حرب .
الفيء تجمع على أفياء .

(٢) سورة الحشر آية ٧ .

(٣) ورد في ذلك حديث صحيح عن رسول الله ﷺ .
وسبب منع ذلك الميراث بسبب انقطاع الموالاة بينهما .

ولو فرض أنه صدر من واحد منهم ذنب محقق فإن الله يغفر له بحسناته العظيمة ، أو بتوبة تصدر منه ، أو يبتليه ببلاء يكفر به سيئاته ، أو يقبل فيه شفاعة نبيه وإخوانه المؤمنين ، أو يدعو الله بدعاء يستجيبه له .

سب الصحابة ... حرام على آل البيت وغيرهم :

وقد ثبت عن النبي ﷺ في الصحاح من رواية أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضي الله عنه أن حاطب بن أبي بلتعة كاتب كفار مكة لما أراد النبي ﷺ أن يغزوهم غزوة الفتح فبعث إليهم امرأة معها كتاب يخبرهم فيه بذلك ، فجاء الوحي إلى النبي ﷺ بذلك : فبعث عليا والزبير فأحضرا الكتاب ، فقال: « ما هذا يا حاطب » ؟ فقال : والله يارسول الله ما فعلت ذلك أذى ولا كفرا، ولكن كنت امرءاً ملصقا من قريش ، ولم أكن من أنفسهم ، وكان من معك من أصحابك لهم قرابات يحمون بها أهليهم، فأردت أن أتخذ عندهم يداً أحمي بها قرابتي ، فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : دعني يارسول الله أضرب عنق هذا المنافق . فقال :«إنه شهد بدراً ، وما يدريك لعل الله قد اطلع على أهل بدر فقال :اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم »وأنزل الله تعالى في ذلك :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ﴾[1]

وثبت في صحيح مسلم أن غلام حاطب هذا جاء إلى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله والله ليدخلن حاطب النار ، وكان حاطب يسيء إلى مماليكه .فقال النبي ﷺ : « كذبت ، إنه قد شهد بدرا والحديبية ». قال ﷺ :« لايدخل النار واحد بايع تحت الشجرة »[2]

---

(١) سورة الممتحنة آية ١ .

(٢) صحيح الاسناد . والمعنى أن كل مسلم بايع الرسول ﷺ يوم الحديبية لن يدخل النار .=

فهذا حاطب قد تجسس على رسول الله ﷺ في غزوة فتح مكة التي كان ﷺ يكتمها عن عدوه ، وكتمها عن أصحابه ، وهذا من الذنوب الشديدة جدا، وكان يسيء إلي مماليكه .

وفي الحديث المرفوع «لن يدخل الجنة سيء الملكة »[1] .

ثم مع هذا لما شهد بدرا والحديبية غفر الله ورضي عنه ، فإن الحسنات يذهبن السيئات .

فكيف بالذين هم أفضل من حاطب وأعظم إيمانا وعلما وهجرة وجهارا ، فلم يذنب أحد قريبا من ذنوبه ؟ !

ثم إن أمير المؤمنين عليا رضي الله عنه روى هذا الحديث في خلافته ، ورواه عنه كاتبه عبيد الله بن أبي رافع ، وأخبر فيه أنه هو والزبير ذهبا لطلب الكتاب من المرأة الظعينة ، وأن النبي ﷺ شهد لأهل بدر بما شهد ، مع علم أمير المؤمنين بما جرى ، ليكف القلوب والألسنة عن أن تتكلم فيهم إلا بالحسنى ، فلم يأت أحد منهم يأشد مما جاء به حاطب ، بل كانوا في غالب ما يأتون به مجتهدين .

وقد قال النبي ﷺ : « إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران ، وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر »[2] وهذا حديث صحيح مشهور .

= وذلك أيضا بنص القرآن الكريم قال تعالى عن صحابة رسول الله ﷺ « لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم مافى قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا » .

(١) صحيح الإسناد

وقوله (سيء الملكة) أى فاسد الخلق وسيء الطباع

وقد ورد عن رسول الله ﷺ فى حديث صحيح أنه قال « أقربكم منى مجالس يوم القيامة أحاسنكم اخلاقا الموطئون أكنافا الذين يألفون ويؤلفون وأبعدكم منى مجالس يوم القيامة الثرثارون المتفيهقون »

(٢) حديث صحيح متفق عليه

وثبت عنه أيضاً أنه لما كان في غزوة الأحزاب فرد الله الأحزاب بغيظهم لم ينالوا خيرا ، وأمر نبيه بقصد بني قريظة قال لأصحابه : « لا يصلين أحد منكم العصر إلا في بني قريظة » .

فأدركتهم الصلاة في الطريق ، فمنهم قوم قالوا :لا نصليها إلا في بني قريظة ، ومنهم قوم قالوا : لم يرد منا تفويت الصلاة ، إنما أراد المسارعة ، فصلوا في الطريق . فلم يعنف النبي ﷺ واحدة من الطائفتين[1]

وكانت سنة رسول الله ﷺ هذه موافقة لما ذكره الله تعالى في كتابه حيث قال :

﴿ وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ (٧٨) فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلاًّ آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾[2] .

فأخبر سبحانه وتعالى أنه خص أحد النبيين بفهم الحكم في تلك القضية ، وأثنى على كل منهما بما آتاه من العلم والحكم .

فهكذا السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه كانوا فيما تنازعوا فيه مجتهدين طالبين للحق .

---

(١) ويجب علينا أن نتعلم جيداً من هذا الموقف حيث أنه يجب علينا سد كل ذريعة للفرقة والجدل ونتحرى الصواب أينما كان ثم نتبعه ونأخذ به دون جدال ولا فرقه .

(٢) سورة الأنبياء آية ٧٨ ، ٧٩ .

جهل الشيعة بمذهب الإمام علي

وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال : « من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً ، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى ، عضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل بدعة ضلالة »[١] .

وروى عنه مولاه سفينة أنه قال : « الخلافة ثلاثون سنة ، ثم تصير ملكا»[٢] فكان آخر الثلاثين حين سلم سبط رسول الله ﷺ : الحسن بن علي رضي الله عنهما الأمر إلى معاوية .

وكان معاوية أول الملوك ، وفيه ملك ورحمة ، كما روي في الحديث : «ستكون خلافة نبوة ، ثم يكون ملك ورحمة ، ثم يكون ملك وجبرية ، ثم يكون ملك عضوض »[٣]

وقد ثبت عن أمير المؤمنين على رضى الله عنه من وجوه أنه لما قاتل أهل الجمل لم يسب لهم ذرية ، ولم يغنم لهم مالا ، ولا أجهز على جريح ، ولا اتبع مدبرا ، ولا قتل أسيرا ، وأنه صلي على قتلى الطائفتين بالجمل وصفين ، وقال : «إخواننا بغوا علينا » .

وأخبر أنهم ليسوا بكفار ولا منافقين ، واتبع فيما قاله كتاب الله وسنة نبيه

---

(١) حديث صحيح رواه البخارى فى صحيحه .

وقوله (عضوا عليها بالنواجذ) أى تمسكوا بها ولا تفرطوا فيها والزموها والجملة كناية عن أمره بشدة التمسك بالسنة وقوله « محدثات الأمور » أى كل ما ابتدع فى الدين ولم يكن موجوداً فى عهده ﷺ ولا عهد الخلفاء الراشدين .

(٢) حديث صحيح رواه أحمد فى المسند .

(٣) حديث صحيح رواه أبو داود وأحمد فى مسنده .

وقوله « ثم يكون ملك عضوض » أى يتمسك به أصحابه بشدة ولا يفرطون فيه ويجبرون الناس على الانصياع لحكمهم .

ﷺ ، فإن الله سماهم إخوة ، وجعلهم مؤمنين في الاقتتال والبغي كما ذكر في قوله : ﴿ وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا ﴾[١]

وثبت عن النبي ﷺ في الصحاح أنه قال : تمرق مارقة على حين فرقة من المسلمين تقتلهم أولى الطائفتين بالحق[٢]

وهذه المارقة هم أهل حروراء ، الذين قتلهم أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه وأصحابه لما مرقوا عن الإسلام ، وخرجوا عليه ، فكفروه، وكفروا سائر المسلمين ، واستحلوا دماءهم وأموالهم .

وقد ثبت عن النبي ﷺ من طرق متواترة أنه وصفهم وأمر بقتالهم ، فقال : « يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم ، وصيامه مع صيامهم ، وقرآنه مع قرآنهم، يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم ، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية ، ولو يعلم الذين يقتلونهم ما لهم على لسان محمد ﷺ لنكلوا عن العمل»[٣]

فقتلهم على رضى الله عنه وأصحابه ، وسر أمير المؤمنين بقتلهم سرورا شديدا وسجد لله شكرا ، لما ظهر فيهم علامتهم وهو المخدج اليد ، الذى على يده مثل البضعة من اللحم ، عليها شعرات ، فاتفق جميع الصحابة على استحلال قتالهم ، وندم كثير منهم كابن عمر وغيره على ألا يكونوا شهودا قتالهم مع أمير المؤمنين ، بخلاف ما جرى فى وقعة الجمل وصفين ، فإن أمير المؤمنين كان متوجعا لذلك القتال ، متشكيا مما جرى ، يتراجع هو وابنه الحسن القول فيه ، ويذكر له الحسن أن رأيه ألا يفعله .

(١) سورة الحجرات آية ٩ .

(٢) حديث صحيح رواه مسلم فى صحيحه .

وقوله (تمرق) أى تخرج من الدين وترتد أو تظهر فرقه ضاله خارجة على أهل السنة والجماعة .

(٣) حديث صحيح وقوله (يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية) أى يخرجون من الإسلام كما يخرج السهم من المقتول أو الضحية .

فلا يستوى ما سر قلب أمير المؤمنين وأصحابه وغبطه به من لم يشهده ، مع ما تواتر عن النبي ﷺ ، وساء قلب أفضل أهل بيته حب النبي ﷺ ، الذي قال فيه : « اللهم إني أحبه فأحبه ، وأحب من يحبه » .

وإن كان أمير المؤمنين هو أولى بالحق ممن قاتله فى جميع حروبه .

ولا يستوى القتلى الذين صلى عليهم وسماهم إخواننا ، والقتلى الذين لم يصل عليهم ، بل قيل له : من الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ؟فقال : هم أهل حروراء .

فهذا الفرق بين حروراء وبين غيرهم الذي سماه أمير المؤمنين فى خلافته بقوله وفعله موافقا فيه لكتاب الله وسنة نبيه هو الصواب الذي لا معدل عنه لمن هدى رشده ، وإن كان كثير من علماء السلف والخلف لا يهتدون لهذا الفرقان ، بل يجعلون السيرة في الجميع واحدة .

فإما أن يقصروا بالخوارج عما يستحقونه من البغض واللعنة والعقوبة والقتل، وإما أن يزيدوا على غيرهم ما يستحقونه من ذلك .



عوامل الضلال

وسبب ذلك قلة العلم والفهم لكتاب الله وسنة رسوله الثابتة عنه ، وسيرة خلفائه الراشدين المهديين ، وإلا فمن استهدى الله واستعانه ، وبحث عن ذلك، وطلب الصحيح من المنقول ، وتدبر كتاب الله ، وسنة نبيه ، وسنة خلفائه ، لاسيما أمير المؤمنين الهادي المهدي التى جرى فيها ما اشتبه على خلق كثير فضلوا بسبب ذلك إما غلوا فيه ،وإما جفاء عنه .

كما روى عنه قال :«يهلك فى رجلان : محب غال يقرظنى بما ليس فى، ومبغض قالٍ يرمينى بما نزهنى الله منه »[1]

وحد ذلك وملاك ذلك شيئان :

طلب الهدى ، ومجانبة الهوى ، حتى لايكون الإنسان ضالاً وغاوياً ، بل مهتدياً راشداً .

قال الله تعالى فى حق نبيه ﷺ :

﴿ إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ ﴾[2].

فوصفه بأنه ليس بضال ، وهو الجاهل ، ولا غاو،وهو الظالم ،فإن صلاح العبد فى أنه يعلم الحق ويعمل به ، فمن لم يعلم الحق فهو ضال عنه . ومن علمه فخالفه واتبع هواه فهو غاو ، ومن علمه وعمل به كان من أولى الأيدى عملا ، ومن أولى الأبصار علما ، وهو الصراط المستقيم الذى أمرنا الله سبحانه فى كل صلاة أن نقول :

---

(١) أثر صحيح رواه أحمد فى مسنده ورجاله ثقات .

وقوله (يقرظنى) أى يمدحنى ويغالى فى مدحى .

وقوله (قال) أى كاره ومبغض لى من الفعل (قلى يقلى) بمعنى (كره يكره) .

(٢) سورة النجم آية ٣ .

﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (٦) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ (٧) ﴾[١]

فالمغضوب عليهم : الذين يعرفون الحق ولا يتبعونه كاليهود والضالون : الذى يعملون أعمال القلوب والجوارح بلا علم كالنصارى . ولهذا وصف الله اليهود بالغواية فى قوله تعالى : ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لاَّ يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً ﴾[٢]

ووصف العالم الذى لم يعمل بعلمه بذلك فى قوله تعالى :

﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ (١٧٥) وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ ﴾[٣]

ووصف النصارى بالضلال فى قوله تعالى :

﴿ وَلا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ (٧٧) ﴾[٤]

ووصف بذلك من يتبع هواه بغير علم حيث قال :

﴿ وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ (١١٩) ﴾[٥]

---

(١) سورة الفاتحة آية ٦ ، ٧

(٢) سورة الأعراف آية ١٤٦ .

(٣) سورة الأعراف آية ١٧٥ .

(٤) سورة المائدة آية ٧٧ .

(٥) سورة الأنعام آية ١١٩ .

وقال :

﴿ ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ﴾[١]

وأخبرنا أن من اتبع هداه المنزل فإنه لا يضل كما ضل الضالون ، ولا يشقى كما شقي المغضوب عليهم فقال :

﴿ قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ (١٢٣) ﴾[٢]

قال ابن عباس : تكفل الله لمن قرأ القرآن وعمل بما فيه ألا يضل فى الدنيا، ولا يشقى فى الآخرة .

ومن تمام الهداية :أن ينظر المستهدى فى كتاب الله ، وفيما تواتر من سنة نبيه ، وسنة الخلفاء ، وما نقله الثقات الأثبات ،ويميز بين ذلك وبين مانقله من لايحفظ الحديث ، أو يتهم فيه بكذب لغرض من الأغراض ، فأنه المحدث بالباطل إما أن يتعمد الكذب ،أو يكذب خطأ لسوء حفظه أو نسيانه ، أو لقلة فهمه وضبطه .

ثم إذا حصلت للمستهدى المعرفة بذلك تدبر ذلك ، وجمع بين المتفق منه، وتدبر المختلف فيه ، حتى يتبين له أنه متفق فى الحقيقة وإن كان الظاهر مختلفاً ، أو أن بعضه راجح يجبْ اتباعه ، والآخر مرجوح ليس بدليل فى الحقيقة، وإن كان في الظاهر دليلاً .

أما غلط الناس فلعدم التمييز ما يعقل من النصوص والآثار ، أو يعقل بمجرد القياس والاعتبار[٣]، ثم إذا خالط الظن الغلط فى العلم هوى النفوس ومناها فى العمل صار لصاحبها نصيب من قوله تعالى :

---

(١) سورة القصص آية ٥٠ .

(٢) سورة طه آية ١٢٣ .

(٣) فللعمل بالنص إنه لابد من التأكد أولاً من صحة ثبوته فى الكتاب أو السنة المطهرة بصرف النظر عن أنه موافق للهوى أم لا فليس كل ما وافق هوى النفس صحيح وليس كل ما عارض هوى النفس سقيم وباطل.

﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَىٰ (٢٣)﴾[١]

وهذا سبب ما خلق الإنسان عليه من الجهل فى نوع العلم ، والظلم فى نوع العمل ، فبجهله يتبع الظن ، وبظلمه يتبع ما تهوى الأنفس .ولما بعث الله رسله وأنزل كتبه ، لهدى الناس وإرشادهم ، صار أشدهم اتباعاً للرسل أبعدهم عن ذلك ، كما قال تعالى :

﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٢١٣) ﴾[٢]

ولهذا صار ما وصف الله به الإنسان لايخص غير المسلمين دونهم ، ولا يخص طائفة من الأمة ، لكن غير المسلمين أصابهم ذلك فى أصول الإيمان التى صار جهلهم وظلمهم فيها كفراناً وخسراناً مبينا ، ولذلك من ابتدع فى أصول الدين بدعة جليلة أصابه من ذلك أشد مما يصيب من أخطأ فى أمر دقيق أو أذنب فيه ، والنفوس لهجة بمعرفة محاسنها ، ومساوىء غيرها .

وأما العالم العادل فلا يقول إلا الحق ، ولا يتبع إلا إياه ، ولهذا من يتبع المنقول[٣] الثابت عن النبي ﷺ وخلفائه ، وأصحابه وأئمة أهل بيته ، مثل الإمام على بن الحسين زين العابدين ، وابنه الإمام أبي جعفر محمد بن على الباقر ، وابنه الإمام أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق شيخ علماء الأمة ، ومثل : أنس بن مالك ، والثورى ، وطبقتهما ، وجد ذلك جميعه متفقا

(١) سورة النجم آية ٢٣ .

(٢) سورة البقرة آية ٢١٣ .

(٣) سواء كان هذا المنقول قرآنا أو سنة قال رسول الله ﷺ « تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدى أبدا كتاب الله وسنتى » وقال أيضا فى حديث صحيح « عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهدين من بعدى عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار » .

مجتمعا فى أصول دينهم ، وجماع شرائعهم ،ووجد فى ذلك ما يشغله وما يغنيه عما أحدثه كثير من المتأخرين من أنواع المقالات التى تخالف ما كان عليه أولئك السلف وهؤلاء المتأخرون ممن ينتصب لعداوة آل بيت رسول الله ﷺ ، ويبخسهم حقوقهم ، ويؤذيهم ، أو ممن يغلوا فيهم غير الحق ، ويفترى عليهم الكذب ، ويبخس السابقين والطائعين حقوقهم[1] ، ورأى أن فى المأثور عن أولئك السلف فى باب التوحيد والصفات ،وباب العدل والقدر ، وباب الإيمان والأسماء والأحكام ،وباب الوعيد والثواب ،والعذاب ،وباب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وما يتصل به من حكم الأمراء أبرارهم وفجارهم، وحكم الرعية معهم ، والكلام فى الصحابة والقرابة ما يبين لكل عاقل عادل أن السلف المذكورين لم يكن بينهم من النزاع فى هذه الأبواب إلا من جنس النزاع الذي أقرهم عليه الكتاب والسنة كما تقدم ذكره ، وأن البدع الغليظة المخالفة للكتاب والسنة ، واتفاق أولى الأمر الهداة المهتدين إنما حدثت من الأخلاف ، وقد يعزون بعض ذلك إلى بعض الأسلاف ، تارة بنقل غير ثابت ، وتارة بتأويل لشيء من كلامهم متشابه .

ثم إن من رحمة الله قل أن ينل عنهم شيء من ذلك إلا وفي النقول الصحيحة الثابتة عنهم للقول المحكم الصريح ما يبين غلط الغالطين عليهم فى النقل أو التأويل ، وهذا لأن الصراط المستقيم فى كل الأمة بمنزلة الصراط فى الملك ، فكمال الإسلام هو الوسط فى الأديان والملك ، كما قال تعالى : ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً ﴾[2]

لم ينحرفوا انحراف اليهود والنصارى والصابئين .

فكذلك أهل الاستقامة ، ولزوم سنة رسول الله ﷺ ، وما عليه السلف ،

---

(١) فوقع الناس بين الافراط فى حب آل البيت فضلوا الطريق الصواب كغلاة الشيعة وبين التفريط فى هذا الحب وانكاره وجحوده كالخوارج .

(٢) سورة البقرة ١٤٣

تمسكوا بالوسط ، ولم ينحرفوا إلى الاطلاق[1]

فاليهود مثلا جفوا فى الأنبياء والصديقين حتى قتلوهم وكذبوهم ، كما قال الله تعالى : ﴿ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ (٨٧) ﴾[2]

والنصارى غلوا فيهم حتى عبدوهم كما قال تعالى: ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ ﴾[3]

واليهود انحرفوا فى النسخ حتى زعموا أنه لايقع من الله أو لا يجوز عليه ، كما ذكر الله عنهم إنكاره فى القرآن حيث قال :

﴿ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلاَّهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا ﴾[4]

والنصارى قابلوهم ، فجوزوا للقسيسين والرهبان أن يوجبوا ما شاءوا ، ويحرموا ما شاءوا ، وكذلك تقابلهم فى سائر الأمور[5]

فهدى الله المؤمنين إلى الوسط ، فاعتقدوا فى الأنبياء ما يستحقونه ، ووقروهم ، وعزروهم ، وأحبوهم ، وأطاعوهم ، واتبعوهم ، ولم يردوهم كما فعلت اليهود ، ولا أطروهم ولا غلوا فيهم فنزلوهم منزلة الربوبية كما فعلت النصارى .

وكذلك فى النسخ ، جوزوا أن ينسخ الله ،ولم يجوزوا لغيره أن ينسخ ، فإن

---

(١) فلا إفراط أو انحراف فى حب آل بيت رسول الله ولا تفريط ولا نلصق بهم التهم والأباطيل ولا نتكلم فيهم بالذم والنقصان فالاعتدال أفضل السبل وانجح المسالك فاليهود أهل التفريط فى حق أنبيائهم فقد جحدوافضلهم وقتلوهم والنصاري أهل الإفراط فى أنبيائهم فقد مجدوهم حتى اتخذوهم آلهة لكن المسلم الحق عليه أن يلزم الاعتدال. دون إفراط ولا تفريط .

(٢) سورة البقرة آية ٨٧ .

(٣) سورة النساء آية ١٧١ .

(٤) سورة البقرة آية ١٤٢ .

(٥) وذلك ترتب عليه أنهم جعلوا هؤلاء القسيسين والرهبان مشرعين وواضعين لهم الأوامر والنواهى من دون الله . قال تعالى ﴿ اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحداً لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون ﴾ فجاء أحد هؤلاء بعدما سمع هذه الآية وقال يا رسول الله والله ما عبدناهم ولا اتخذناهم أربابا من دون الله قال له رسول الله ﷺ أما يحلون لكم الحرام ويحرمون عليكم الحلال ؟ قال بلى قال ﷺ تلك عبادتهم » .

الله له الخلق والأمر ، فكما لا يخلق غيره لا يأمر غيره .

وهكذا أهل الاستقامة فى الاسلام المعتصمون بالحكمة النبوية ،والعصبة الجماعية ،متوسطون فى باب التوحيد والصفات بين النفاة المعطلة وبين المشبهة الممثلة .

وفى باب القدر والعدل والأفعال بين القدرية والجبرية والقدرية المجوسية . وفى باب الأسماء والأحكام بين من أخرج أهل المعاصى من الإيمان بالكلية كالخوارج وأهل المنزلة ، وبين من جعل إيمان الفساق كإيمان الانبياء والصديقين كالمرجئة والجهمية .

وفى باب الوعيد والثواب والعقاب بين الوعيد بين الذين لايقولون بشفاعة نبينا لأهل الكبائر ، وبين المرجئة الذين لا يقولون بنفوذ الوعيد .

وفى باب الإمامة والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وبين الذين يوافقون الولاة على الإثم والعدوان ،ويركنون إلى الذين ظلموا ، وبين الذين لايرون أن يعاونوا أحدا على البر والتقوى ، ولا على جهاد ولا جمعة ولا أعياد إلا أن يكون معصوماً ، ولا يدخلون فيما أمر الله به ورسوله إلا فى طاعة من لا وجود له .

فالأولون يدخلون فى المحرمات ،وهؤلاء يتركون واجبات الدين ، وشرائع الإسلام ،وغلاتهم يتركونها لأجل موافقة من يظنونه ظالما ، وقد يكون كاملا فى علمه وعدله[1] .

❁ ❁ ❁

---

(١) فالخارجون من ربقة الإسلام الذين ضلوا الطريق قد وقعوا إما فى الإفراط أو التفريط .

أهل الاستقامة ... عند المصيبة

وأهل الاستقامة والاعتلال يطيعون الله ورسوله بحسب الإمكان ، فيتقون الله ما استطاعوا ، وإذا أمرهم الرسول بأمر أتوا منه ما استطاعوا ، ولا يتركون ما أمروا به لفعل غيرهم ما نهى عنه ، بل كما قال تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ﴾(١)

ولا يعاونون أحدا على معصية ، ولا يزيلون المنكر بما هو أنكر منه ، ولا يأمرون بالمعروف إلا بالمعروف ،فهم وسط في عامة الأمور ، لهذا وصفهم النبي ﷺ بأنهم الطائفة الناجية لما ذكر اختلاف أمته وافتراقهم.

ومن ذلك أن اليوم الذي هو يوم عاشوراء الذى أكرم الله فيه سبط نبيه ، وأحد سيدى شباب أهل الجنة بالشهادة على أيدى من قتله من الفجرة الاشقياء، وكان ذلك مصيبة عظيمة من أعظم المصائب الواقعة فى الاسلام .

وقد روى الإمام أحمد وغيره عن فاطمة بنت الحسين وقد كانت قد شهدت مصرع أبيها ، عن أبيها الحسين بن على رضى الله عنهم ، عن جده رسول الله ﷺ أنه قال : « ما من رجل يصاب بمصيبة فيذكر مصيبته وإن قدمت، فيحدث لها استرجاع إلا أعطاه الله من الأجر مثل أجره يوم أصيب بها»(٢)

فقد علم الله أن مثل هذه المصيبة العظيمة سيتجدد ذكرها مع تقادم العهد، فكان من محاسن الإسلام أن روى هذا الحديث صاحب المصيبة والمصاب به أولا ولا ريب أن ذلك إنما فعله الله كرامة للحسين رضي الله عنه ، ورفعا

---

(١) سورة المائدة آية ١٠٥ .

(٢) حديث صحيح . وقوله « فيحدث لها استرجاعاً » .
أى يقول إنا لله وإنا إليه راجعون .

لدرجته ومنزلته عند الله ، وتبليغا له منازل الشهداء ، وإلحاقا له بأهل بيته الذين ابتلوا بأصناف البلاء ، ولم يكن الحسن والحسين حصل لهما من الابتلاء ما حصل لجدهما ولأمهما وعمهما ؛لأنهما ولدا في عز الإسلام ،وتربيا في حجور المؤمنين ،فأتم الله نعمته عليهما بالشهادة ،أحدهما مسموما ، والآخر مقتولا ؛ لأن الله عنده من المنازل العالية في دار كرامته ما لا ينالها إلا أهل البلاء كما قال النبي ﷺ وقد سئل : أي الناس أشد بلاء ؟فقال :« الأنبياء ثم الصالحون ثم الأمثل فالأمثل ، يبتلي الرجل حسب دينه ، فإن كان في دينه صلابة زيد في بلائه ، وإن كان في دينه رقة خفف عنه ، وما يزال البلاء بالمؤمن حتى يمشي على الأرض وليس عليه خطيئة »[1]

وشقي بقتله من أعان عليه ، أو رضي به ، فالذي شرعه الله للمؤمنين عند الإصابة بالمصائب وإن عظمت أن يقولوا :

﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) ﴾[2]

وقد روى الشافعي في مسنده أن النبي ﷺ لما مات ، وأصاب أهل بيته من المصيبة ما أصابهم ، سمعوا قائلاً يقول : «يا آل بيت رسول الله ، إن في الله عزاء من كل مصيبة ، وخلفا من كل هالك ،ودركا من كل فائت ،فبالله فثقوا،وإياه فارجوا ،فأن المصاب من حرم الثواب ....»

فكانوا يرونه الخضر جاء يعزيهم بالنبي ﷺ[3] .

---

(١) حديث صحيح .

(٢) سورة البقرة آية ١٥٦ .

(٣) كثير من الناس يزعم أن الخضر مازال حيا على وجه البسيطه والبعض يقول أنه قد توفي قبل بعثة محمد ﷺ ولم يرد حديث صحيح أو نص واضح يثبت وجود الخضر على قيد الحياة إلى الآن أو حتى إلى فتره عصر النبوه وما أتى في ذلك ما هو إلا أقاويل إما ضعيفه السند أو موضوعة لا يعتمد عليها ولا يعول عليها ولا يأخذ بها .

فأما اتخاذ المآتم في المصائب ، واتخاذ أوقاتها مآتم ، فليس من دين الإسلام، وهو أمر لم يفعله رسول الله ﷺ ، ولا أحد من السابقين الأولين ، ولا من التابعين لهم بإحسان ، ولا من قادة أهل البيت ، ولا غيرهم .

وقد شهد مقتل علي أهل بيته ، وشهد مقتل الحسين من شهده من أهل بيته ، وقد مرت على ذلك سنون كثيرة ، وهم متمسكون بسنة رسول الله ﷺ، لا يحدثون مأتما ، ولا نياحة ، بل يصبرون ويسترجعون كما أمر الله ورسوله ، أو يفعلون ما لا بأس به من الحزن والبكاء عند قرب المصيبة .

قال النبي ﷺ : « ما كان من العين والقلب فمن الله ، وما كان من اليد واللسان فمن الشيطان »[1] .

وقال : « ليس منا من لطم الخدود ، وشق الجيوب ، ودعا بدعوى الجاهلية»[2] . يعني : مثل قول المصاب « يا سنداه ، يا ناصراه ، يا عضداه » .

وقال : « إن النائحة إذا لم تتب قبل موتها فإنها تلبس يوم القيامة درعا من جرب ، وسربالاً من قطران »[3] .

وقال : « لعن الله النائحة والمستمعة إليها »[4] .

---

(١) حديث صحيح انظر الحلية لابى نعيم . وقد ورد عن رسول الله ﷺ عندما توفى ابنه ابراهيم قال ﷺ « إن القلب ليحزن وإن العين لتدمع وإنا على فراقك يا إبراهيم لمحزونون » أما النواح والعويل والصياح ولطم الخدود وشق الجيوب كل هذا منافى للإسلام . ومن وحى الشيطان للإنسان فقد ورد النهى عن ذلك .

(٢) حديث صحيح متفق عليه رواه البخارى ومسلم فى صحيحيهما .

(٣) حديث صحيح رواه مسلم فى صحيحه .

وقوله (النائحة) أى التى تنوح على الميت وتولول عليه .

وقوله (درعًا من جرب وسربالا من قطران) أى يصبح جسدها ملىء بالجرب والسواد والجمله كلها كناية عن غضب ربنا تبارك وتعالى عليها وتعذيبه لها يوم القيامة .

(٤) حديث صحيح رواه أحمد فى المسند

وقد قال في تنزيله :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٢) ﴾[1] .

وقد فسر النبى ﷺ قوله : « ولا يعصينك فى معروف » بأنها النياحة .

وتبرأ النبى ﷺ من الحالقة والصالقة .

والحالقة : التى تحلق شعرها عند المصيبة .

والصالقة : التى ترفع صوتها عند المصيبة .

وقال جرير بن عبد الله : كنا نعد الاجتماع إلى أهل الميت وصنعتهم الطعام للناس من النياحة .

وإنما السنة لأهل الميت طعام ، لان مصيبتهم تشغلهم .

كما قال النبى ﷺ لما نعى جعفر بن أبي طالب لما استشهد بمؤتة[2] فقال : « اصنعوا لآل جعفر طعاما فقد جاءهم ما يشغلهم »[3] .

وهكذا ما يفعل قوم آخرون يوم عاشوراء من الاكتحال والانخضاب ، أو المصافحة ، والاغتسال ، فهو أيضا لا أصل لها ، ولم يذكرها أحد من الأئمة المشهورين .

---

(١) سورة الممتحنة آية ١٢ .

(٢) غزوة مؤته وقعت فى السنة الثامنة من الهجرة ومؤته قريه على مشارف الشام وهى التى تسمى اليوم الكرك وسببها مقتل صحابى أرسله رسول الله ﷺ إلى ملك بصرى وكان الصحابى يسمى الحارث بن عمير الأزدى .

(٣) حديث صحيح رواه الترمذى فى سننه

وإنما روى فيها حديث : « من اغتسل يوم عاشوراء لم يمرض تلك السنة، ومن اكتحل يوم عاشوراء لم يرمد ذلك العام »[1] . ونحو ذلك .

ولكن الذى ثبت عن النبى ﷺ : انه صام يوم عاشوراء ، وأمر بصيامه وقال : « صومه يكفر سنة »[2] .

وقرر النبى ﷺ ان الله أنجى فيه موسى وقومه ، واغرق فرعون وقومه ، وروى انه كان فيه حوادث الأمم ... فمن كرامة الحسين أن الله جعل استشهادة فيه .

وقد يجمع الله في الوقت شخصاً أو نوعاً من النعمة التى توجب شكراً ، أو المحنة التى توجب صبراً .

كما أن سابع عشر شهر رمضان فيه كانت وقعة بدر ، وفيه مقتل على ....

وأبلغ من ذلك : أن يوم الاثنين فى ربيع الاول فيه مولد النبى ﷺ ، وفيه هجرته ، وفيه وفاته .

والعبد المؤمن يبتلى بالحسنات التى تسره ، والسيئات التى تسوءه فى الوقت الواحد ، ليكون صبارا شكورا ، فكيف إذا وقع مثل ذلك فى وقتين متعددين من نوع واحد .

ويستحب صوم التاسع والعاشر ، ولا يستحب الكحل ، والذين يصنعونه من الكحل من أهل الدين لا يقصدون به مناصبة أهل البيت وإن كانوا مخطئين فى فعلهم ، ومن قصد منهم أهل البيت بذلك أو غيره ، أو فرح ، أو استشفى بمصائبهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين .

فقد قال النبى ﷺ : « **والذى نفسى بيده لا يدخلون الجنة حتى يحبوكم من أجلى** »[3] لما شكى إليه العباس أن بعض قريش يجفون بنى هاشم .

---

(١) حديث ضعيف رواه أبو نعيم فى الحلية .

(٢) حديث صحيح رواه أحمد فى مسنده .

(٣) حديث صحيح رواه الترمذى فى سننه .

وقال : « إن الله اصطفى قريشا من بنى كنانة ، واصطفى بنى هاشم من قريش ، واصطفانى من بنى هاشم ؟ [(١)] .

وروى أنه قال : « أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه ، وأحبونى لحب الله ، وأحبوا أهل بيتى لحبى » [(٢)] .

وهذا باب واسع يطول القول فيه .

❀ ❀ ❀

---

(١) حديث صحيح رواه مسلم فى صحيحه .

(٢) حديث صحيح رواه الترمذى فى سننه .

بدع وضلالات

وكان سبب هذه المواصلة أن بعض الإخوان قدم بورقة فيها ذكر النبى ﷺ ، وذكر سادة أهل البيت ، وقد أجرى فيها ذكر النذور لمشهد المنتظر ، فخوطب من فضائل أهل البيت وحقوقهم بما سر قلبه ، وشرح صدره ، وكان ما ذكر بعض الواجب ، فإن الكلام فى هذا طويل ، ولم يحتمل هذا الحامل اكثر من ذلك .

وخوطب فيما يتعلق بالأنساب والنذور بما يجب فى دين الله ، فسأل المكاتبة بذلك إلى من يذهب إليه من الإخوان ، فإن النبى ﷺ قال : « الدين النصيحة ، قالوا : لمن يا رسول الله ؟ قال : لله ، ولكتابه ، ولرسوله ، ولأئمة المسلمين وعامتهم » [1] .

أما ورقة الانساب والتواريخ ففيها غلط في مواضع متعددة ، مثل : ذكر أن النبى ﷺ توفى في صفر ، وأنه محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن عمرو ابن العلاء بن هاشم ، وان جعفر الصادق توفى فى خلافة الرشيد ، وغير ذلك فإنه لا خلاف بين أهل العلم ان النبى ﷺ توفى فى شهر ربيع الاول ، شهر مولده وشهر هجرته ، وانه توفى يوم الاثنين ، وفيه ولد ، وفيه أنزل عليه ، وجده هاشم بن عبد مناف ، وإنما كان هاشم يسمى عمرو ، ويقال له :

عمرو العلا ، كما قال الشاعر :

عمرو العلا هشم الثريد لقومه [2]

ورجال مكة مسنتون عجاف[3]

---

(١) حديث صحيح رواه البخارى ومسلم فى صحيحيهما .

(٢) هشم الثريد : أى كسر الخبز ووضع عليه المرق واللحم .

(٣) مسنتون عجاف : أى فقراء هزال ضعاف .

وأن جعفراً أبا عبد الله توفى فى سنة ثمان وأربعين فى إمارة زبى جعفر المنصور .

وأما المنتظر فقد ذكر طائفة من أهل العلم بأنساب أهل البيت : أن الحسن ابن على العسكرى لما توفى بعسكر سامراء ولم يعقب ولم ينسل ، وقال من أثبته : إن أباه لما توفى سنة ستين ومائتين كان عمره سنتين او أكثر من ذلك بقليل ، وإنه غاب من ذلك الوقت ، وإنه من ذلك الوقت حجة الله على أهل الارض ، لا يتم الايمان إلا به ، وأنه هو المهدى الذى أخبر به النبى ﷺ ، وإنه يعلم كل ما يفتقر إليه فى الدين .

وهذا موضع ينبغى للمسلم أن يثبت فيه ، ويستهدى الله ويستعينه ، فإن الله قد حرم القول بغير علم ، وذكر أن ذلك من خطوات الشيطان وحرم القول المخالف للحق ، ونصوص التنزيل شاهدة بذلك ، ونهى عن اتباع الهوى .

فأما المهدى الذى بشر به النبى ﷺ فقد رواه أهل العلم العالمون بأخبار النبى ﷺ ، الحافظون لها ، الباحثون عنها وعن رواتها ، مثل أبى داود ، والترمذى ، وغيرهما ، ورواه الإمام أحمد فى مسنده .

فعن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : « لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لطول الله ذلك اليوم حتى يبعث الله فيه رجلا من أهل بيتى ، وطىء اسمه اسمى ، واسم أبيه اسم أبى ، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً ، كما ملئت ظلماً وجوراً »[١] .

وروى هذا المعنى من حديث أم سلمة وغيرها .

وعن على بن أبى طالب رضى الله عنه أنه قال : « المهدى من ولد ابنى هذا » . واشار إلى الحسن[٢] .

---

(١) حديث صحيح رواه الترمذى فى سننه والجور : أى الظلم والتعدى .

(٢) ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال « المهدى من عترتى من ولد فاطمة » .

وقال ﷺ : « يكون في آخر الزمان خليفة يحثو المال حثواً »[1] . وهو حديث صحيح .

فقد أخبر النبي ﷺ انه اسمه محمد بن عبد الله ، ليس محمد بن الحسن . ومن قال : إن أبا جده الحسين ، وأن كنيته الحسين أبو عبد الله فقد جعل الكنية اسمه ، فما يخفى على من يخشى الله أن هذا تحريف للكلم عن مواضعه ، وأنه من جنس تأويلات القرامطة[2] .

وقول أمير المؤمنين صريح في أنه حسنى لا حسينى ، لأن الحسن والحسين مشبهان من بعض الوجوه بإسماعيل وإسحاق ، وإن لم يكونا نبيين .

ولهذا كان النبي ﷺ يقول لهما : « أعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ، ومن كل عين لامة »[3] .

ويقول : « إن إبراهيم كان يعوذ بهما إسماعيل وإسحاق » .

وكان إسماعيل هو الاكبر والاحلم .

ولهذا قال النبي ﷺ وهو يخطب على المنبر : « إن ابني هذا سيد ، وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين »[4] .

فكما أن غالب الأنبياء كانوا من ذرية إسحاق ، فهكذا كان غالب السادة الأئمة من ذرية الحسين ، وكما أن خاتم الأنبياء الذى طبق أمره مشارق الارض ومغاربها كان من ذرية إسماعيل فكذلك الخليفة الراشد المهدى الذى هو آخر الخلفاء يكون من ذرية الحسن .

وأيضاً فإن من كان ابن سنتين كان في حكم الكتاب والسنه مستحقاً أن

---

(١) حديث صحيح رواه مسلم في صحيحه .

وقوله (يحثو) أى يغترف وينثر وذلك بسبب كثرته وبركته .

(٢) القرامطه : أحد فرق الشيعة الضالة التى خرجت عن الاسلام بتأويلاتها الفاسدة .

(٣) حديث صحيح رواه البخارى في صحيحه .

(٤) حديث صحيح رواه البخارى في صحيحه .

يحجر عليه فى بدنه ، ويحجر عليه فى ماله ، حتى يبلغ ويؤنس منه الرشد ، فإنه يتيم ، وقد قال الله تعالى : ﴿ وَابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ ﴾ (١) .

فمن لم تفوض الشريعة إليه أمر نفسه كيف تفوض إليه أمر الأمة ؟

وكيف يجوز أن يكون إماماً علىَ الامة من لا يرى ولا يسمع له خبر ؟ مع ان الله لا يكلف العباد بطاعة من لايقدرون على الوصول إليه ، وله أربعمائة وأربعون سنة ينتظره من ينتظره وهو لم يخرج ، إذ لا وجود له .

وكيف لم يظهر لخواصه وأصحابه المأمونين عليه كما ظهر آباؤه ، وما الموجب لهذا الاختفاء الشديد دون غيره من الآباء ؟ وما زال العقلاء قديماً وحديثاً يضحكون بمن يثبت هذا ، ويعلق دينه به ، حتى جعل الزنادقة هذا وأمثاله طريقاً إلى القدح فى الملة ، وتسفيه عقول أهل الدين إذا كانوا يعتقدون مثل هذا .

لهذا قد اطلع أهل المعرفة على خلق كثير منافقين يتسترون بإظهار هذا وأمثاله ، ليستميلوا قلوب وعقول الضعفاء وأهل الأهواء ، ودخل بسبب ذلك من الفساد ما الله به عليم ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ، والله يصلح أمر هذه الأمه ويهديهم ويرشدهم .

النذور للمشاهد والمساجد :

وكذلك ما يتعلق بالنذور للمساجد والمشاهد ، فإن الله فى كتابه وسنة نبيه التى نقلها السابقون والتابعون من أهل بيته وغيرهم قد أمر بعمارة المساجد ، وإقامة الصلوات فيها بحسب الإمكان ، ونهى عن المساجد على القبور ، ولعن من يفعل ذلك ، قال الله تعالى :

(١) سورة النساء آية ٦ .

﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللَّهَ فَعَسَىٰ أُوْلَئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ (١٨) ﴾ [١] .

وقال تعالى :

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا أُوْلَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَا إِلاَّ خَائِفِينَ ﴾[٢] .

وقال تعالى :

﴿ فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ﴾[٣] .

وقال : ﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا (١٨) ﴾ [٤] .

وقال : ﴿ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا ﴾ [٥] .

قال النبى ﷺ : من بنى لله مسجداً بنى الله له بيتاً فى الجنة » [٦] .

وقال : « وبشر المشائين فى ظلم الليل إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة»[٧] .

---

(١) سورة التوبة آية ١٨ .

(٢) سورة البقرة آية ١١٤ .

(٣) سورة النور آية ٣٦ .

(٤) سورة الجن آية ١٨ .

(٥) سورة الحج آية ٤٠ .

(٦) حديث صحيح رواه ابن ماجة وقوله (المشائين فى ظلم الليل) أى الذين يكثرون من السعى ليلا إلى المساجد فإن هؤلاء سيجعل الله عز وجل لهم نوراً عظيماً تاماً يوم القيامة .

فقد ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال (ألا أنبئكم بما يرفع الله به الدرجات ويمحو به الخطايا قالوا بلى يا رسول الله قال (كثرة الخطى إلى المساجد) .

(٧) حديث صحيح رواه مسلم فى صحيحه .

وقال « من غدا إلى المسجد أو راح ، أعد الله له نزلاً كلما غدا أو راح»[1].

وقال : « صلاة الرجل فى المسجد تفضل على صلاته فى بيته وسوقه بخمس وعشرين درجة »[2] .

وقال : « من تطهر فى بيته فأحسن الطهور ، وخرج إلى المسجد لا ينهزه إلا الصلاة ، كانت خطوتاه إحداهما ترفع درجة ، والاخرى تضع خطيئة »[3].

وقال : « صلاة الرجل مع الرجل أزكى من صلاته وحده ، وصلاته مع الرجلين أزكى من صلاته مع الرجل ، وما كان أكثر أحب إلى الله »[4] وقال: « سيكون عليكم أمراء يؤخرون الصلاة عن وقتها ، فصلوا الصلاة لوقتها ، ثم اجعلوا صلاتكم معهم نافلة »[5] .

وقال : « يصلون لكم ، فإن أحسنوا فلكم ، وإن أساءوا فلكم وعليهم » .

وهذا باب واسع جداً .

وقال أيضاً : « لعن الله اليهود ، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » . يحذر مما فعلوا . قالوا : ولولا ذلك لأبرز قبره ، ولكن كره ان يتخذ مسجداً . وهذا قاله فى مرضه .

وقال قبل موته بخمس : « إن من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد، ألا فلا تتخذون القبور مساجد ، فإنى أنهاكم عن ذلك »[6] .

---

(١) حديث صحيح رواه البخارى فى صحيحه .

قوله (غدا .. أو راح) أى ذهب مبكراً قبل الشروق أو ذهب قبل الغروب .

(٢) حديث صحيح رواه البخارى فى صحيحه .

(٣) حديث صحيح رواه البخارى ومسلم فى صحيحيهما .

وقوله (لا ينهزه) أى لا يدفعه ولا يسوقه إلا الصلاة .

(٤) حديث صحيح رواه أحمد فى مسنده وقوله (أزكى) أى أفضل وأطهر وأكثر أجراً .

(٥) حديث صحيح رواه مسلم .

(٦) حديث صحيح رواه البخارى والمعنى أنه كان ممن كان قبلنا من أهل الكتاب إذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجداً فلعنوا لذلك .

ولذلك نهانا رسول الله ﷺ من الصلاة فى مسجد به قبر .

ولما ذكر كنيسة الحبشة قال : « أولئك إذا مات الرجل فيهم بنوا على قبره مسجدا ، وصوروا فيه تلك التصاوير ، أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة»[1] .

وكل هذه الاحاديث فى الصحاح المشاهير .

وقال أيضاً : « لعن الله زوارات القبور ، والمتخذين عليها المساجد والسرج»[2] .

رواه الترمذى وغيره وقال : حديث حسن .

فإذا كان النبى ﷺ قد لعن الذين يتخذون على القبور المساجد ، ويسرجون عليها الضوء ، فكيف يستحل مسلم ان يجعل هذا طاعة وقربة ؟ ! !

وفى صحيح مسلم عن أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه

قال : « بعثنى رسول الله ﷺ فأمرنى ألا أدع قبر مشرفاً إلا سويته ، ولا تمثالاً إلا طمسته »[3] .

ونبت عن النبى ﷺ انه قال : « اللهم لا تجعل قبرى وثناً يعبد »[4] .

وقال : « لا تتخذوا من قبرى عيداً ، وصلوا عليّ حيثما كنتم ، فإن صلاتكم تبلغنى » [5] .

فنهى النبى ﷺ عن الاجتماع عند قبره .

وأمر بالصلاة عليه فى جميع المواضع ، فإن الصلاة عليه تصل إليه من

---

(١) حديث صحيح رواه البخارى ومسلم فى صحيحيهما

(٢) حديث صحيح رواه الترمذى فى سننه .

(٣) حديث صحيح رواه مسلم والمعنى أنه ﷺ أمر على رضى الله عنه بأن يكسر كل قبر ارتفع عن الأرض اكثر من شبر وأن يمحو كل صورة يجدها وهذا من قبيل سد الذرائع التى تؤدى إلى الشرك وزرع النفاق فى القلب .

(٤) حديث صحيح رواه مالك فى موطه .

(٥) حديث صحيح رواه أحمد فى مسنده .

جميع المواضع .

وهذه الاحاديث رواها أهل بيته ، مثل : على بن الحسين عن أبيه عن جده علي ، ومثل : عبد الله بن الحسن بن على بن أبى طالب .

فكانوا هم وجيرانهم من علماء أهل المدينة ينهون عن البدع التى عند قبره أو غير قبر غيره ، امتثالاً لأمره ، ومتابعة لشريعته .

فإن من مبدأ عبادة الاوثان : العكوف على الأنبياء والصالحين ، والعكوف على تماثيلهم ، وإن كانت وقعت بغير ذلك .

وقد ذكر الله فى كتابة عن المشركين أنهم قالوا :

﴿ لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلا سُوَاعًا وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا (٢٣) وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا ﴾[١] .

وقد روى طائفة من علماء السلف أن هؤلاء كانوا قوماً صالحين ، فلما ماتوا بنوا على قبورهم ، ثم صوروا تماثيلهم .

وكذلك قال ابن عباس فى قوله : ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ اللاَّتَ وَالْعُزَّىٰ (١٩) وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَىٰ (٢٠) ﴾[٢] .

قال ابن عباس : كانت اللات رجلاً يلت السويق للحجاج ، فلما مات عكفوا على قبره ولهذا قال النبى ﷺ : « اللهم لا تجعل قبرى وثناً يعبد » . ونهى أن يصلى عند قبره .

ولهذا لما بنى المسلمون حجرته حرفوا مؤخرها ، وسنموه لئلا يصلى إليه أحد . فإنه ﷺ قال « لا تجلسوا على القبور ، ولا تصلوا إليها »[٣] رواه مسلم .

---

(١) سورة نوح آية ٢٣ .

(٢) سورة النجم آية ١٩ .

(٣) حديث صحيح رواه مسلم فى صحيحه .

وكان ﷺ إذا خرج إلى أهل البقيع يسلم عليهم ، ويدعو لهم .

وعلم أصحابة أن يقولوا إذا زاوروا القبور : « سلام عليكم أهل دار قوم مؤمنين ، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون ، ويرحم الله المستقدمين منكم والمستأخرين ، نسأل الله لكم العافية ، اللهم آجرهم ، ولا تفتنا بعدهم ، واغفر لنا ولهم »[١] .

هذا مع أن فى البقيع إبراهيم وبناته أم كلثوم ورقية ، وسيدة نساء العالمين فاطمة ، وكانت إحداهن دفنت فيه قديماً قريباً من غزوة بدر ، ومع ذلك فلم يحدث على أولئك السادة شيئا من هذه المنكرات ، بل المشروع التحية لهم ، والدعاء بالاستغفار وغيره .

وكذلك في حقه ، أمر بالصلاة والسلام عليه من القرب والبعد ، وقال : «أكثروا علي من الصلاة يوم الجمعة وليلة الجمعة ، فإن صلاتكم معروضة علي . قالوا : كيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت ؟ يعنى : بليت . قال : إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء »[٢] .

وقال : « ما من رجل يمر بقبر الرجل كان يعرفة فى الدنيا فيسلم عليه إلا رد الله عليه روحه حتى يرد عليه السلام »[٣] .

وكل هذه الأحاديث ثابتة عن أهل المعرفة بحديث النبى ﷺ .

فالدعاء والاستغفار يصل إلى الميت عند قبره وغير قبره ، وهو الذى ينبغى للمسلم أن يعامل به موتى المسلمين من الدعاء لهم بأنواع الدعاء كما كان فى حياته يدعو لهم .

---

(١) حديث صحيح رواه مسلم فى صحيحه .

(٢) حديث صحيح رواه أبو داود فى سننه .

(٣) حديث صحيح رواه أبو داود فى سننه.

وهذا رسول الله ﷺ قد أمرنا أن نصلى عليه ونسلم تسليما فى حياته ومماته ، وعلى آل بيته .

وأمرنا أن ندعو للمؤمنين والمؤمنات فى محياهم ومماتهم ، عند قبورهم وغير قبورهم .

ونهانا الله أن نجعل لله أندادا ، أو نشبه بيت المخلوق الذى هو قبره ببيت الله الذى هو الكعبة البيت الحرام ، فإن الله أمرنا أن نحج ونصلى إليه ، ونطوف به، وشرع لنا أن نستلم أركانه ، ونقبل الحجر الأسود الذى جعله الله بمنزلة يمينه.

قال ابن عباس : « الحجر الاسود يمين الله فى الأرض ، فمن استلمه وصافحه فكأنما صافح الله وقبل يمينه » .

وشرع كسوة الكعبة ، وتعليق الاستار عليها ، وكان يتعلق من يتعلق بأستار الكعبة بأذيال المستجير به ، فلا يجوز أن تضاهى بيوت المخلوقين ببيت الخالق .

ولهذا كان السلف ينهون من زار قبر النبى ﷺ أن يقبله ، بل يسلم عليه بأبى هو وأمى ﷺ ، ويصلى عليه كما كان السلف يفعلون .

فإذا كان السلف أعرف بدين الله وسنة نبيه وحقوقه ، وحقوق السابقين والتابعين من أهل البيت وغيرهم ، ولم يفعلوا شيئا من هذه البدع التى تشبه الشرك وعبادة الأوثان ، لان الله ورسوله نهاهم عن ذلك ، بل يعبدون الله وحده لا شريك له ، مخلصين له الدين كما أمر الله به ورسوله ، ويعمرون بيوت الله بقلوبهم وجوارحهم من الصلاة والقراءة ، والذكر والدعاء وغير ذلك.

فكيف يحل للمسلم أن يعدل عن كتاب الله ، وشريعة رسوله ، وسبيل السابقين من المؤمنين ، إلى ما أحدثه ناس آخرون ، إما عمدا او خطأ .

فخوطب حامل هذا الكتاب بأن جميع هذه البدع التى على قبور الأنبياء

والسادة من آل البيت والمشايخ المخالفة للكتاب والسنة ، ليس للمسلم أن يعين عليها ، هذا إذا كانت القبور صحيحة ، فكيف وأكثر هذه القبور مطعون فيها ؟ .

وإذا كانت هذه النذور للقبور معصية قد نهى الله عنها ورسوله والمؤمنون السابقون ، فقد قال النبى ﷺ : « من نذر أن يطيع الله فليطعه ، ومن نذر أن يعصى الله فلا يعصه »[1] .

وقال ﷺ : « كفارة النذر كفارة اليمين »[2] . وهذا الحديث فى الصحاح.

فإذا كان النذر طاعة لله ورسوله ، مثل أن ينذر صلاة أو صومًا أو حجًا أو صدقة أو نحو ذلك ، فهذا عليه أن يفى به .

وإذا كان النذر معصية كفرا أو غير كفر ، مثل : أن ينذر للأصنام كالنذور التى بالهند ، ومثلما كان المشركون ينذرون لآلهتهم ، مثل : اللات التى كانت بالطائف ، والعزى التى كانت بعرفة قريبا من مكة ، ومناة الثالثة الأخرى التى كانت لأهل المدينة .

وهذه المدائن الثلاث هى مدائن أرض الحجاز ، كانوا ينذرون لها النذور ، ويتعبدون لها ، ويتوسلون بها إلى الله فى حوائجهم ، كما أخبر عنهم بقوله : ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ ﴾[3] ومثلما ينذر الجهال من المسلمين لعين ماء ، أو بئر من الآبار ، أو قناة ماء أو مغارة ، أو حجر ، أو ينذر زيتاً أوشمعاً أو كسوة أو ذهباً ، أو فضة لبعض هذه الاشياء ، فإن هذا كله نذر معصية لا يوفى به .

---

(١) حديث صحيح رواه البخارى فى صحيحه .

(٢) حديث صحيح رواه مسلم فى صحيحه .

(٣) سورة الزمر آية ٣ .

لكن من العلماء من يقول : على صاحبه كفارة يمين ، لما روى أهل السنن عن النبى ﷺ : « لا نذر فى معصية ، وكفارته كفارة يمين »[1]

وفى الصحيح عنه أنه قال : « كفارة النذر كفارة يمين »[2] .

وإذا صرف من ذلك المنذور شيء فى قربة من القربات المشروعة كان حسناً، مثل : أن يصرف الدهن إلى تنوير بيوت الله ، ويصرف المال والكسوة إلى من يستحقة من المسلمين ومن آل بيوت رسول الله ﷺ ، وسائر المؤمنين ، وفى سائر المصالح التى أمر الله بها ورسوله .

وإذا اعتقد بعض الجهال أن بعض هذه النذور المحرمة قد قضت حاجته بجلب المنفعة من المال والعافية ونحو ذلك ، أو بدفع المضرة من العدو ونحوه ، فقد غلط فى ذلك .

فقد صح عن النبى ﷺ أنه نهى عن النذر وقال : « إنه لا يأتى بخير ، ولكنه يستخرج به من البخيل »[3] .

فعد النذر مكروها ، وإن كان الوفاء به واجبا إذا كان المنذور طاعة لله ورسوله ﷺ .

وقد أخبر النبى ﷺ أن النذر لا يأتى بخير ، وإنما يستخرج به من البخيل ، وهذا المعنى قد ثبت عن النبى ﷺ من غير وجه ، فيما كان قربة محضة لله ، فكيف بنذر شرك ؟ فإنه لا يجوز نذره ولا الوفاء به .

وهذا وإن كان قد عمر الإسلام ، وكثر العكوف على القبور التى هى للصالحين من أهل البيت وغيرهم ، فعلى الناس أن يطيعوا الله ورسوله ، ويتبعوا دين الله الذى بعث به نبيه ، ﷺ ، ولا يشرعوا من الدين ما لم يأذن به الله ،

---

(١) حديث صحيح رواه مسلم فى صحيحه .

(٢) سبق الاشارة إليه .

(٣) حديث صحيح رواه البخارى ومسلم فى صحيحهما .

فإن الله إنما أرسل الرسل وأنزل الكتب ليكون الدين كله لله وليعبدوا الله وحده لا شريك له .

كما قال تعالى :

﴿ وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ (45) ﴾[1].

وقال تعالى :

﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ (13) ﴾[2] .

وقال تعالى :

﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ ﴾[3] .

وقال تعالى فى حق الذين كانوا يدعون الملائكة والنبيين :

﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلا تَحْوِيلاً (56) أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا (57) ﴾[4] .

وقال : ﴿ وَلا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا الْمَلائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ (80) ﴾[5] .

---

(١) سورة الزخرف آية ٤٥ .

(٢) سورة الشورى آية ١٣ .

(٣) سورة النحل آية ٣٦ .

(٤) سورة الإسراء آية ٥٦ .

(٥) سورة آل عمران آية ٨٠

ورد على من اتخذ شفعاء من دونه فقال :

﴿ أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلا يَعْقِلُونَ (٤٣) قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَّهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٤٤) وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ (٤٥) قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (٤٦) ﴾[١] .

وقال : ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٣١) ﴾[٢] .

وقال تعالى :

﴿ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ ﴾[٣] .

وقال :

﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلاَّ مِنْ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ (٢٦) ﴾[٤] .

وقال تعالى :

﴿ وَلا يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَىٰ ﴾[٥] .

وقال : ﴿ وَلا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلاَّ لِمَنْ أَذِنَ لَهُ ﴾[٦] .

---

(١) سورة الزمر آية ٤٣ .

(٢) سورة التوبة آية ٣١ .

(٣) سورة البقرة آية ٢٥٥ .

(٤) سورة النجم آية ٢٦ .

(٥) سورة الأنبياء آية ٢٨ .

(٦) سورة سبأ آية ٢٣ .

وكتب الله من أولها إلى آخرها تأمر بإخلاص الدين لله ، ولا سيما الكتاب الذى بعث به محمد ﷺ أو الشريعة التى جاء بها ، فإنها كملت الدين .

قال تعالى :

﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾[1] .

وقال :

﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ (18) ﴾[2] .

وقد جعل قوام الأمر بالإخلاص لله ، والعدل فى الأمور كلها ، كما قال تعالى :

﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ (29) فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلالَةُ ﴾[3]

ولقد خلص النبى ﷺ التوحيد من دقيق الشرك وجليله ، حتى قال : « من حلف بغير الله فقد أشرك »[4] رواه الترمذى وصححه .

وقال : « إن الله ينهاكم ان تحلفوا بآبائكم ، فمن كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت » [5] . وهذا مشهور فى الصحاح .

وقال : « ولا يقولن أحدكم ما شاء الله وشاء محمد ، ولكن قولوا : ما شاء الله ، ثم شاء محمد »[6] .

---

(1) سورة المائدة آية ٣ .

(2) سورة الجاثية ١٨ .

(3) سورة الأعراف آية ٢٩ .

(4) حديث صحيح رواه الترمذى فى سننه .

(5) حديث صحيح رواه أحمد فى مسنده .

(6) حديث صحيح رواه ابن ماجة فى سننه .

والعبرة هنا أن الواو حرف عطف يفيد مطلق الجمع . =

وقال له رجل : ما شاء الله وشئت ، فقال « أجعلتنى لله نداً ؟ بل ما شاء الله وحده »[1] .

وروى عنه أنه قال : « الشرك فى هذه الأمة أخفى من دبيب النمل »[2] وروى عنه أن الرياء شرك[3] .

وقال تعالى :

﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا (١١٠) ﴾[4] .

وعلّم بعض أصحابه أن يقول « اللهم إنى أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم، واستغفرك لما لا أعلم » .

ومن هذا الباب الذين يسألون الصدقة أو يعطونها لغير الله ، مثل من يقول : لأجل فلان ، إما بعض الصحابة ، أو بعض أهل البيت ، حتى يتخذ السؤال بذلك زريعة إلى أكل أموال الناس بالباطل ، ويصير قوم ممن ينتسب إلى السنة يعطى الآخرين، والشيطان قد استحوذ على الجميع ، فإن الصدقة وسائر العبادات لايشرع أن تفعل لله ، كما قال تعالى:

﴿وسيجنبها الأتقى. الذى يؤتى ماله يتزكى . وما لأحد عنده من نعمة تجزى . إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى . ولسوف يرضى ﴾[5] .

= أما ثم فهى حرف عطف يفيد الترتيب مع التراخى أى أننا عندما نقول إن شاء الله ثم شاء فلان فمشيئة الله تعالى مقدمة على كل شىء وفوق كل مشيئة وهى التى تتحكم فى كل مشيئة وهذا هو الصحيح المخرج من الشرك أما قولنا إن شاء الله وشاء فلان فإننا نشرك مشيئة الله مع غيره وهذه إحدى صور الشرك بالله تعالى نسأل الله العافية .

(١) حديث صحيح رواه أحمد فى مسنده وقوله (اجعلتنى لله ندا) أى شريكا ومنازعًا له فى مشيئته .

(٢) حديث صحيح رواه أحمد فى مسنده وقوله دبيب النمل أى سير النمل .

(٣) حديث صحيح رواه الترمذى فى سننه .

(٤) سورة الكهف آية ١١٠ .

(٥) سورة الليل آية ١٨ .

وقال تعالى :

﴿ وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ (٣٩) ﴾[١] .

وقال :

﴿ مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ ﴾[٢] .

وقال ﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا (٨) إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُورًا (٩) ﴾[٣] .

وقال تعالى كلمة جامعة :

﴿ وما تفرق الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءتهم البينة . وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة ﴾[٤] .

وعبادته تجمع الصلاة وما يدخل فيها من الدعاء والذكر ، وتجمع الصدقة والزكاة بجميع الأنواع ، من الطعام واللباس والنقد وغير ذلك .

والله يجعلنا وسائر اخواننا المؤمنين مخلصين له الدين ، نعبده ولا نشرك به شيئًا، معتصمين بحبله ، متمسكين بكتابه ، متعلمين لما أنزل من الكتاب والحكمة ، ويصرف عنا شياطين الجن والإنس ، ويعيذنا أن تفرق بنا عن سبيله، ويهدينا الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا .

والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على محمد وآله وسلم تسليماً كثيراً .

(١) سورة الروم آية ٣٩ .

(٢) سورة البقرة آية ٢٦٥ .

(٣) سورة الانسان آية ٨ .

(٤) سورة البينة آية ٤ .

الفهرس

دار ابن خلدون
للنشر والتوزيع
الاسكندرية - ت ٤٤٤١٠٦٨ - ٤٤٥٩٧٢٣